رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي [1]

مراجعة : الدكتور محمد رضوان الداية
(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

— ١ —

بعد اضطراب أحوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كَثُرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء الذين قصدوا الى المشرق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو اندلسي من قلعة يَحْصُب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحّدين ، ثم انضم الى ابن هود في مدة سطوته على قسم من الاندلس (٦٢١ — ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها اديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا من المصنّفات ، طُبع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد اطرف ابن سعيد (الاندلسي) اهل المشرق بِطُرَف من اخبار بلاده ، وبتراجم ادبائها ورجالها ، واشاع بينهم الوانا من اشعارهم وموشحاتهم وازجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحقّ رسولا من رسل الثقافة الاندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى الطُرَف الاندلسية والمغربية .

ومن اشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » ، و « الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

[1] تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْقِص والمُطْرِب » المطبوع باسم : « عنوان المرقصات والمطربات » . وفي كتبه ايضا : « رايات المبرّزين وغايات المميزين » الذي نعرض اليوم له ، ولتحقيقه .

وكتاب الرايات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف اساسا على كتابه الآخر : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية ،(غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقها) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغرب ،وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا : (المغرب الاقصى ــ المغرب الاوسط ــ المغرب الادنى « افريقية ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صِقِلِّيَة .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات **والمطربات** » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة "الرايات" (ص ٣١) : هذا مجموع اوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه ارق من النسيم ، ولفظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرنّ على نداه ريحان القلوب ، وتتعلّق الاسماع بمعاده تَعَلُّق عين المحبّ بطلعة المحبوب ... وحقّ له ذلك إذْ تُمُصُ الفاظه مفصّلةً على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيه ؛ **واشترطتُ** مع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسْبَقوا الى معناه ، او استحقّوه بزيادة او حسن عبارة ، اَبْرَزْتُه بعد تجويده في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم،يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

أمـــا مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلـــو من تصحيف وتحريف هنـــا وهناك ، غير أن خطها نسخي جميل مجـــوَّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هـــي الطبعة الاولى ، فقد سبق أن حققه المستشرق الاسباني البحّاثة القدير غارثيّا غومس، في مدريـــد، سنة ١٩٤٢ ، ثـــم نهض بعبء نشره ثانية الدكتور النعمان القاضـــي فـــي القاهـــرة .

وقـــدَّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبيًّا (نحـــو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهارسه وملاحقـــه . وهي مقدّمة يُسْتَغْنَى عن كثير مما فيها، كما سأُبَـــيِّن .

والامـــر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا أن يُعَرِّف المحقـــق بمؤلـــف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وأن يتحدث عـــن مضمون الكتاب ومنهجـــه ، ومصادر المؤلـــف ومراجعه ؛ ولـــه إنْ شاء أن يُقَوِّمه ويضعه في مكانـــه من الكتب المماثلة ، إن وُجِدَت ، ومـــا اشبه ذلك ...

ولكـــن المحقّق زَحَمَ المقدمة وطَوَّلَها بموضوعات من نافل القول ، واضطر ــ وقد جَـــرَّ الكلامُ بعضَه بعضا ــ الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا اندلسية مـــا زالت مدار بحث ، لم يَقْطَع فيهـــا المتخصصون انفسهم ، ووقع في اخطـــاء تاريخية وادبية كثـــيرة !

وتـــدور مقدمةُ المحقّق حول ثلاثـــة امـــور :

١ ــ الحديث عن وحدة الفكـــر العربي على مـــرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالمشرق . وقـــد اضطرب المحقّق في هذه العلاقـــة وتحديدهـــا .

٢ ــ الدفـــاع عن الحضارة الاندلسية ، والاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجـــده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذي ظهر في الغرب !!

٣ ــ الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيّا غومس) .

ولم يوفِّر حماسته البالغة حين وصف المحقِّقَ السابقَ (١) لنص رايات المبرزين بالعُجمة (عجمة المحقِّق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوِّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هفو من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنُعدّ لك منها أشياء .

ــ ٢ ــ

من احكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرَّره جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه **كلَّها** من آثار المشرق . (صفحة ٨).ومعلوم أن في العقد نُبَذاً أندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِقِلِّيَة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر أوروبة !! (صفحة ٦)،وقوله ان ابن شُهَيد تأثر أبا العلاء المعري (صفحة ٩)؛وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمُّق في الخيالات دون المساس بالجوهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزْمان (صفحة ٩) علما بأنه كان زجّال الاندلس ، أما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... وأوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

---

(١) يظهر لي أن المحقق الدكتور القاضي لم يطّلع على كتاب (الشعر الاندلسي ــ بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطبَعَه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد أساسا في هذا الكتاب على نصوص" رايات المبرّزين ".

وانفـق قسما من المقدمة للحديث في نشأة الموشّحات ، ونصر رأيْ الدكتـور شوقي ضيف الذي تَبنّاه من القـول بالاصل المَشْرقيّ للموشّحات ، علما بأن كتـاب "الرايات" لا يذكر الموشّحات ولا يمرّ بها — عـدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! — .

وفي الجملـة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالمحقق ان يقتصد فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبَتّ فيهـا ، أو في قضايا هي بحاجة الـى بحث موسّع لتتبين معالمهـا ..

— ٣ —

ونظـرا لكثرة الملاحظات التي سَجّلْتُها على حواشي نسخَتي من الكتاب ، سأقتصر على نُبَـذ منها في أبواب متفرّقة من الحديـث ؛ وسأكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القسـم الاول) فغايتي هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقّـق ، ومراجعة بعض القضايا . . .

واول ما ابدأ بـه امرٌ هامّ يتعلّق بأصول تحقيق النصوص ، وهـو الاخذ بالنص والتقيّد بـه ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيـدة لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة أو مرجح واضح ، ويُنَبَّـه الى ذلك في مواضعه ، كما يُنَبَّـه الى ذلك في خطـة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حالـه، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقـد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرُج عن روايته الى رواية مصادر اخرى دون سبب أو داعٍ الى ذلـك .

١ — في الصفحة ٤١ ، قـال ابن زهر الإشبيلي :

وموسّدِينَ على الأكُفّ خُدودَهم قد غالَهُم ضوءُ الصباح وغالني

وهـذه رواية "النفح" و"الوفيات" ؛ أما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسّدِينَ على الخُدودِ أكُفَّهـم قد غالهم ضوءُ الصباح وغالني

ومـــن العجب مخالفة النص في هـــذا المجـــال .

ب ــ في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بـــن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المسافـــر" :

ابِعَيْنِـــكَ الشَّتْراءِ عـــينٌ ثَرَّةٌ منها تَرَقْرَقَ دمعُـــك المسفوحُ

شَتَرَتْ فَقلنا زورقٌ في لجَّـــةٍ مالـــت باحدى جانبيه الريـــحُ

وروايـــة المخطوطـــة :

" مالَـــت فقلنا زورق .." الـــخ . فخالف النصَّ الى سواه ، وكان حقُّـــه ان يرجع الى "زاد المسافر" صفحة ٩٣ حيـــث روى صفـــوان الابيـــات لنفســـه !

جـ ــ في الصفحة ٤٦ من شعر ابـــي الصلت امية بن عبد العزيز :

قـــال حسودي وقـــد رآهُ يُخِـــبّ تحتي الى القتـــال

والبيـــت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قـــال حسودي وقـــد رآه يَجنـــبُ خلفي الـــى القتال

فبدَّلـــه مُفَضِّلا رواية "النفح" على رواية النص الاصلي و"الخريدة" معًا !

د ــ في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابـــي الصلت :

لا غرو ان سبقت **يداك** مدائحي وتدفَّقَـــتْ جدواك مـــلءَ إنائها

ورواية النص : لا غـــرو ان سبقت **علاك** مدائحي ...

هـ ــ في الصفحة ٤٧ : وقـــال في فرس اصفر . وفي الاصـــل المخطوط : في فرس اكحـــل !

و ــ في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايُلَ القَصَب بمـــرّ الهواء على مجلس الشراب حتى لثـــم رؤوسهم ، وقـــال للساقي :

اَسْهِمْـــهُ مِنْ اكوابنا ولـــو أنَّـــه سكرانُ يَطفَحُ ، حَقَّ ما لَثَمَ الرؤوسْ

وروايـــة المخطوطـــة :

" أَلْثِمْهُ مِن اكوابنا .." الخ . فبدّلها المحقق ، وضيَّعه ان الناسخ اوردها (أَبِلَثْمِهِ) فلم يهتدِ الى تصحيفه ، وبدّل الكلمة برواية المغرب .

ز — في الصفحة ٧٧ :

واذا نظرتَ الى محاسن وجهه ابصرتُ وجهك في ثُناه غريقا

اوردها (ثناه) اجتهادا . وترك رواية الاصل وهي (ابصرت وجهك في سِناه غريقا) . والابيات مشهورة جدا لابن عبد ربه وتتردد في تراجمه .

• • •

ويَلْحَق بهذه الفقرة خطأُ المحقق في قراءة بعض الكلمات . وكثيرا ما تجده يلتمس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنه قرأ النص على وجهه لاستقام له واتّضح . في الصفحة ٣١ قال ان الكلمة في المخطوطة (إذن) وحوَّلها الى (آذن) . وهي في الاصل مهملة من الهمز ! وفي الصفحة ٣٨ قرأ (زِدْتك) و (زاد) وحوَّلها الى : زُرْتك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكنه خفي على المحقق قاعدة كتابة الخطّ النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قرأ العبارة (قلتُ به) وصوَّبها الى (قلتُ إليه) وهي كذلك في الاصل . وفي الصفحة ٤٧ قرأ العبارة (وقرَّ به) واثبتها : غَمَرَّ به ، وهي كذلك في الاصل .. الخ .

وممّا اخطأ في قراءته واثبَتَه على خطئه قوله، صفحة ٤٦: "وانشد صاحب الخريدة لأُمَيَّة بن عبد العزيز في (مجمرة طبيب) " هكذا ، وصوابها في مجمرة (طِيْب) ، وهي كذلك في المخطوطة !

— ٤ —

وفي ضبط بعض البلدان وهم أو خطأ . في الصفحة ٣٨ (رُنْدَه) بفتح الراء ، والصواب (رُنْدَه) بالضم . وفي صفحة ٥١ : وقد قعدنا بالغروس على نهر اشبيلية . والصواب : قعدنا بالمَروس (بالعين

المهملة) على نهـر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٩٢) و (العَروس) من متنزّهات اشبيليـة .

وفي صفحـة ٥٢ وردت (مدينة مُنّيش) مشدّدة النون ، ثـم اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنِيش) . وفي المُغرب (مُنِيش) بنون مخفّفة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس واوروبة (قطعة من المسالك والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنْتِيشـة Mantesa بتـاء زائدة . وكان يُحْسُن ان يوحّد رسم الكلمة ويراجعها على المظـانّ الجغرافيـة الاندلسيـة .

وفي الصفحة ٦١ قـال "هي مدينة (يابْره) بباء ساكنة ، وصوابهـا (يابُره) ببـاء مضمومة .

وضبـط مدينة شنتِرين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بانه بلـد بالاندلس !! والصواب انـه كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبـط (صَقلّية) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وفـي : ١٢٧ ضبط (مُكناسة) بضم الميم والصواب كسر الميـم ...

وتحدث في المقدّمة وفي الحواشي عن جزر (البليـار) والعرب كانت تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابسـة .

ووَقَـعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام أو التعريف بهـم ، مما هو ظاهر أو معروف . فهـو ضبط (الخَشْني) بسكون الشين ، والصواب فتح الشين : صفحـة (٤٠) .

وضبـط غياث (صفحة ٥٣) غَيّاث على وزن شَدّاد !

وضبـط ابن دُحْية (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دِحْية) بكسـر الـدال .

وقـــال في نسب ابن حزم إنـــه (ابو محمد علي بن ابي عُمْرو بن حزم) والصواب (ابن ابي عُمَـــر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عَرَّف بابي بكر محمد ، وهـــو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو ابو بكر بن زُهـــر الاصغر ، وهو ابن عم الاكبر ... » . فاخطأ في تعيين أبناء زُهر الثلاثة . والصواب أن المترجَـــم في الصفحة ٤٣ واحـــد من اسرة بني زُهر ، امـــا الآخران فاحدهما ابـــن زُهر الحفيد ابـــو بكر محمد بن عبد الملـــك (ت٥٩٥) والثاني جَدُّه ابـــو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقـــل ابن سعيد خبرا عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعلَّق المحقق في الحاشية (٤) : « هـــو غير الاعلم البطليوسي صاحب التآليف المشهورة : .. الـــخ » . وهذا وهـــم . وهو يريد : الاعلم البطليوسي غير الاعلـــم الشنتمري (ت ٤٧٦) صاحب التآليف المشهورة .. (هـــذا في الصفحة ٤٨) .

وعَرَّف باحـــد الأُدباء الصقلّيين فقال : (ابـــو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشر ، الكاتب الصقلّي) ، والصواب انـــه الشاعر الكاتب ، ولـــه ديوان طُبع مرّتين !!

واستغرب المحقـــق (صفحة ٢٣) أن يُنْسبَ المؤلِّف ابنَ رشيق الى المسيلة (المحمديـــة) !! وليس في هذا عجب لانه مولود بهـــا ، وإن اشتَهَر بابـــن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجـــد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بمـــا يخالف الصواب ، أو بما لا يتَّفق مع المعنـــى . وقد يكون شيء من هذا من اخطـــاء الطباعة .

مـــن ذلك ورود كلمة (ذخر) بالذال ، اخت الدال ، مرّتـــين (صفحة ٢٦) وهو يريـــد (زخر) بالزاي ، اخت الراء .

وضبـــط (الكَلّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكِلّة) بالكسر ، لمعنى السِّتر الرقيـــق ...

وفي الصفحـــة (٧٢) قال احـــد شعراء "الرايات" :

امسى الفَراشُ يطوف حول كؤوسنا اذ خالهُـــا تحت الدجي قِنديـــــلا

مـــا زال يَخفقُ حولَها بجناحـــــه حتى رَمتْـــه على الفِراش قتيـــلا !

ضبـــط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفـــاء . وزاد انّ ضَبَط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصـــواب بالكسر ، لمقتضـــى المعنـــى .

وضبَـــطَ المحقّق (صفحة ٨١) كلمـــة (كناس) بضم الكاف ، والصواب الكسر لانـــه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الظبي .

وضبط كلمة (كبـــد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح الباء ، يريد معنى المشقّة ، والبيت مـــن قطعة في وصف فوّارة :

يـــا حسن فوارة للأفق راجمـــة بالشُّهْب تنزو نُزُوَّ الواثب اللَّعِـــبِ

ينساب عنها حباب المـــاء مندفقاً الى البحيرة مثل الأيم من رُعُـــبِ

كأنما مارَ تحت الارض في (كَبِدٍ) : فحين ابصر وُسْعَا جَدَّ في الهَرَبِ ..

وفي (الصفحة ٤٢) "كافورتي" ضَبطها بكسر التـــاء والصواب فتحها كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قـــول الشاعر :

وبيضـــاءَ تَحْسَبُهـــا دُرَّةً تذوب اذا ذُكِرَت او تكـــادْ

تُنَمْنِـــمُ بالمِســـكِ كافورَتِـــيٌّ مُحَبّاً حوى الحسنَ طُرًّا وزادْ ..

ولـم يُعْـنَ المحقق بايضاحات اشارات المؤلف التي يقتضـي التحقيق ايضاحها أو يُحْسَن ؛ وهـي اشارات هامة بالقياس الى تبيـان منهج المؤلف وموقفه النقـدي .

في الصفحة ٥٩ قـال الشاعر :

انهض ابـا طالب الينـا واسقُطْ سقوط الندى علينا

وكـان حقّه أن يشير الى بيت عمر بن أبي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلـة لا نـاهٍ ولا آمِـرُ

وفي صفحة ٥٩ نفسهـا :

يـا ايها المَلِـكُ الذي آباؤه شُمُّ الانوف من الطراز الأوّلِ

وكـان حقه ان يضع الشطر الثاني بـين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابـن زيدون :

تِـه أَحْتَمِلْ ، واستَطِلْ أَصْبِرْ ، وعِـزَّ أَهُـنْ
و وَلِّ اُقبِلْ ، وقُـلْ أَسْمَعْ ، و مُـرْ أُطِـعِ

وقـال المؤلف ابن سعيد أنـه احسن من بيت المتنبي . ولـم ينبّه اليه المحقـق . وقُلْ مثل هذا في اشارة المؤلـف الى متابعة ابـن شُهَيد لأبيات امرىء القيس ، ولم يشر المحقق اليهـا .

وفي الصفحة ٧٤ قـال الشاعر :

فانَّ قرين السوء يُعدي، وشاهدي (كما شُرِقَتْ صدرُ القناة من الدم)

وكـان يَحْسُن ان يشير الى انـه شاهد نحْوي في قصيد للأعشى .

- ٧ -

امـــا الشروح التي اضافها المحقق فكانت احيانا سريعة لا تُغْني ، وكان احيانا يَسْكت عـــن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكُرُ منـــه مثلا تعليقه على قـــول الشاعر :

خلان قد كَفَر الكافور ذاك وقـــد عَقَّ العقيقُ احمرارا ذا وما ظلما !

وقـــال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انـــه اخذ من الكافور فعلا ، ومـــن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلمـــا .

وفي الصفحة ٨٣ مـــرَّ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة . واورد ابيات ابن القوطية واولهـــا :

إِشْرَب على السُّوسن الغض الذي نَغَما
وباكِـــرِ الآسَ والورد الـــذي بَخمـــا

والصواب الذي نجمـــا ، وهذا ظاهر . ولم يشرح "نَغَـــم" وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعـــة !

- ٨ -

— ومـــا يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قولـــه (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابـــي يحيى أبي بكر بن هشام القرطبي فـــي الحاشية (٥) : كانت لـــه كنيتان !! — واضاف أيضـــا — : على عادة اهـــل الاندلس ! فهذا خطأ مركّب ؟ فلم يكن من عـــادة اهـــل الاندلس أن يتّخذوا كُنْيَتين الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فـــي المشرق (للحرب والسلم .. الـــخ) . ومن جهة اخرى فالمترجم اسمه ابو بكر وكنيته أبـــو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقـــق !

— ومـــن ذلك قوله ان ابـــا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل)؛ وكرر هذا في الاصـــل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمـــل) ، وهو كتابُ نحـــو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهـــو للزجاجي .

ـ ومـن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتضد العَبّادي غـزا قرطبة وأخذها . والصواب انها وقعت في يـد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

ـ ومـن ذلك قوله صفحة ٧٣ في ترجمة ابـن عبدوس : « وهـو الذي وَجَّـه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهـذا خطأ صوابه : وهو الذي وَجَّهَ **اليـه** ...

ـ ومـن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علـي بن يوسف ابـن تاشفين انـه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « امـير المسلمين » ...

وغـير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

ـ ٩ ـ

ومـن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نَقَـل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقـق نسخة وحيدة، تَعيَّنَ عليـه أن يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقـع فيها شيء من السهو ، والوهـم ؟

ويُعْجَب القارىء حين يتنبَّه الى أن المحقـق اغفل العودة الى عـدد من الاصول التي اعتمد عليها ابـن سعيد ، والاصول التـي ذَكَرَها ، او لم يذكرها ، واكتفى بذكـر بعض تلك المصادر التي لـم يرجع اليها المحقـق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتـاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بـن ادريس، وكتاب (العقـد) لابن عبد ربـه ، ودواوين ابـن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقـاق ، والرصافي البلنسي ، وابـن عمّار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيـد ، و (المعجـب) للمراكشي و (يتيمة الثعالبي) وغيرها كثير .

وهـذا الاغفال أثَّر على قضية توثيق النصوص في الكتـاب . وقُـلْ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لـم يَسْتَقْصِ مـا

بين يديـــه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلـــف نفسه ... وكاد أن يلتصق بكتابه (المُغْـــرب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومـــن ههنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، أو كانت نقلا من عبارات المؤلـــف نفسه أو من سبقه الى التأليف في (المغرب) مما لا يزيد قضية التوثيق توكيدا وتوضيحـــا .

— ١٠ —

ولا تشعر أن المحقـــق (عايشٌ) المؤلف في مقصده ومنهجه، ولا خالطه بالعودة الى مؤلفاتـــه ، ولا هو رَصَدَ مواقفه الادبية والنقدية . ومـــن أوضح الامثلة على ذلك أن المؤلـــف اعتذر الى موسى بن يغمور (المُهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال لـــه :

« ... والمملـــوك — يعني نفسه — ينهي للمولى أن هذا المجموع إنْ نَقَصَ في عينِ مَن عَمِيَت بصيرته لصغر جرمه ، فجوابه قول اشعَـــرِ مَن مَلَـــك طريقَ التخيُّل ، وتوصَّل بلطافة الذهن الى الاستنباط والتخيُّل :

والنجـــمُ تَسْتَصْغِرُ الابصـــارُ رؤيتَـــه
والذَنْبُ للعـــين لا للنجم في الصِغَـــرِ

ولـــم يُعَلِّق المحقق بشيء ، ولـــم ينسب الشعر » .

وعبارة المؤلـــف ابن سعيد تنبيء عن منهجه ، وميله الى مدرسة ابـــي العلاء المعري وطريقته في التخيّل والغوص على المعاني . والبيت المذكور من سقط الزنـــد (١ : ١٦٢) . واذا نظرنا في كتاب ابـــن سعيد الآخر : (عنوان المرقصات والمطربات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول : ابـــو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيُّل .

ولـــو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لـــي ، ورأيتُ فيه مـــادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعـــب .

ونحـــن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرّزين » ، عذرا في بعض ما اشرت اليـــه في هذه المقالة ، لا نستطيع ان نلتمس العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه ان عمل ، ومن لا يعمـــل لا يخطىء !

• • •

امـــا (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) لابن سعيد فهو حقّـــا في حاجة الى تحقيق علمي متـــانٍ .

د. محمـــد رضوان الداية